

# فِي سَبْعَةِ الدَّرَجَاتِ

## أثر الدين والتدين في النفوس

للعالم الفاضل الدكتور يحيى أحمد الدردري

إذا ما قشنا عن علة الملل في هم الإنسان وغمه وحيرته واضطرابه في الحياة تراها ترجع إلى جهله بربه وبنفسه أو بمباراة أخرى إلى ضعف إيمانه . فالإنسان كثيرا ما تتنازع الأهواء وتتجكم فيه الشهوات فتضله ويبقى متنازعا بين رغبة للنفس والعجز عن تحقيق هذه الرغبة . وبين هاتين الحالتين يكون الاضطراب والغم .

ولكن لو علم الإنسان أن له ربا قادرا قد أحكم نظام هذا العالم وضبطه بقوانين ثابتة وجعل النفس خاضعة لنواميس خالدة فأخذ في دراسة هذه القوانين لهدى إلى صراط مستقيم وعيش رغيد . وأصبح هو والعالم وحدة متجانسة لا خلاف ولا شجاء ولا م ولا كدر بل غبطة وسعادة . أينما غافل أن هذه الحياة التي خلقها الله عز وجل على أبداع نظام وأتقن فيها صنعة كل شيء من حيوان ونبات وجماد يتركها للإنسان يبيت فيها كيف يشاء بدون وأزع ؟؟ لتصور أن رجلا عاقلا بنى بيتا فخما وأثنه بأنفس وياش وأعد له المسكن . أبعقل أن يترك هذا البيت لسكران يسكن ويقبل فيه ما يشاء وما يهوى ؟؟ لا يتصور ذلك بل لابد أن يقيم عليه حراسا ويضع له قوانين ليعرف كل ساكن ماله وما عليه وإلا فسد البيت وتهدم . فإله سبحانه وتعالى هو صاحب البيت العالم أي هذه الدنيا . والحراس هم الأنبياء والرسل والمعلماء والمؤمنون . وقانون السكن أو ( الكونقرا تو ) هو دين الله سبحانه وتعالى . فإسكن

بنعم بهذه الحياة يجب أن يعرف قوانين الله والدين ويتبينها .  
لدين : كبر أثر في تهذيب النفوس وقيادتها إلى السعادة إذا ما تعلمه الإنسان للعمل به لا لتعرض الاحتراف والاتجار . وأساس الدين هو توحيد الله عز وجل وعدم الإشراك به وعمل الخير ما استطاع الإنسان إلى ذلك سبيلا ( ومن أحسن قولاً لمن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين (١) ) - وحدانية الله الحق تستلزم أن لا يقر الأنبياء بسلطان

لا حول إلا لله عز وجل وأن لا يسأل ولا يعتمد إلا على الله سبحانه وتعالى . وهذا هو الحربة الحقة والذرة الرفيعة . قال عبد الله بن عباس :

« كنت خلف النبي ﷺ فقال لي » يا غلام إني أعلمك كلمات . احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف » ( رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح ) وهذا مما يقصر قوله تعالى : ( وإن يحسبك الله يضرك فلا تكشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم (١) ) وقال تعالى ( ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها (٢) )

إذا كان من شروط الأيمان أن يؤمن الإنسان بالقضاء خيره وشره فلا يتكلى على ذلك ويهمل العمل ويستعزل في اتباع هوى نفسه . وليلم الإنسان أن من قضاء الله وحكمه العمل والسعي وجهاد النفس ومحاربة الباطل وعمل الخير كل هذا من قضاء الله ويجب العمل به . قال تعالى ( وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى (٣) ) و . ( كل نفس بما كسبت رهينة (٤) ) .

رفع دين الإسلام معتقيه إلى ذروة المجد وسيادة الامم لانهم تعلموا الدين وعملوا به . قال عليه الصلاة والسلام : ( تعلموا ما شئتم أن تعلموا قلن يؤجركم الله حتى تعلموا ) كان المسلمون في صدر الاسلام يحرقون الحرق كله على العمل بأوامر الدين فدانت لهم الأرض وخضعت لهم الامم : حضر رجل إلى النبي ﷺ وقد أسلم فأراد أن يتعلم شيئاً من القرآن فأمر الرسول صلى الله عليه وسلم أحد أصحابه بتعليمه فعملوه فاتحة الكتاب ثم سورة الزوال فلما أتى على آية ( فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ) أراد أن يعله غيرها فأبى وقال : حسبي هذا حسبي ( أي يكفيني هذا ) فذهب الصحابي ورفع أمره إلى الرسول ﷺ فقال اتركوه فقد تفقه في الدين . أتفقه في الدين بتعليم سورتين لا تزيدان على خمس عشرة آية ؟ نعم لانه أراد أن يعمل بهما ويراقب نفسه مراقبة شديدة فحاسبها على الكثير والقليل . ومثاقوده هذه المراقبة إلى أن يتعرف أوامر الله ونواهيه فيعود إلى دراسة القرآن الكريم .

كان المسلمون يتعلمون ليعرفوا ويعملوا لا ليعرفوا ويتاجروا كما هو الحال اليوم :

(١) يونس (٢) الحديد (٣) النجم (٤) المدثر

وكان الأساتذة يراقبون تلاميذهم ويفقدون أحوالهم ويشجعونهم على فعل الصالح والنافع حتى تنمو دقوسهم على كبح جماح الشهوات وفعل الخيرات .

كان شفيق الباغى من كبار علماء زمانه ومن متصوفيههم وكان له تلميذ يسمى حاتم الأصم . فقال له شفيق منذ كم صحبتنى ؟ قال حاتم منذ ثلاث وثلاثين سنة . قال فأتملت منى فى هذه المدة ؟ قال . ثمانى مسائل . قال شفيق له . إنا لله وإنا إليه راجعون ذهب عمري معك ولم تتعلم إلا ثمانى مسائل . قال يا أستاذ لم أتعلم غيرها وأنى لا أحب أن أكذب فقال مات هذه الثمانى مسائل حتى أتممها . قال حاتم :

أولا - نظرت إلى هذا الخلق قرأت كل واحد يحب محبوبا فهو مع محبوبه إلى القبر فإذا وصل إلى القبر فارقه فعملت الحسنات محبوبى فإذا دخلت القبر دخل محبوبى معى . فقال الأستاذ أحسنت يا حاتم .

ثانيا - نظرت إلى قول الله عز وجل ( وأما من خاف مقام ربه ونهي النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى (١) ) فأتملت أن قوله سبحانه وتعالى هو الحق فأجهدت نفسى فى دفع الهوى حتى استقرت على طاعة الله .

ثالثا - إني نظرت إلى هذا الخلق فوجدت كل من معه شيء له قيمة ومقدار رفعه وحفظه ثم نظرت إلى قول الله عز وجل « ما عندكم يتفقد وما عند الله باق » (٢) فكلمنا وقع معى شيء له قيمة ومقدار وجهته إلى الله ليبقى عنده محفوظا ( أى تصدق به )

رابعا - إني نظرت إلى هذا الخلق قرأت كل واحد منهم يرجع إلى المال وإلى الحب والشرف والنسب فنظرت فيها فإذا هى لا شيء . ثم نظرت إلى قول الله تعالى « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » (٣) فعملت فى التقوى حتى أكون عند الله كريما .

خامسا - إني نظرت إلى هذا الخلق يعلم بعضهم فى بعض ويلعن بعضهم بعضا وأصل هذا كله الحسد ثم نظرت إلى قول الله عز وجل « نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا » (٤) فتركت الحسد واجتنبت الخلق وعلمت أن القسمة من عند الله سبحانه وتعالى فتركت عداوة الخلق عنى

سادسا - نظرت إلى هذا الخلق يعنى بعضهم على بعض ويقال بعضهم بعضا فرجعت إلى قول الله عز وجل « إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا » (٥) فماديت وحده واجتهدت فى أخذ حذرى منه لأن الله تعالى شهد عليه أنه عدو لى فتركت عداوة الخلق غيره

سابعاً - نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يطلب هذه الكسرة بذل فيها نفسه ويدخل فيها لا يحل له . ثم نظرت إلى قول الله تعالى « وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها » (١) فقلت إني واحد من هذه الدواب التي على الله رزقها ناشتة بتاعاً على وترك مالي عنده ( وهذا هو الفتاء في أداء الواجب )

ثامناً - نظرت إلى هذا الخلق فرأيتهم كلهم متوكلين على مخلوق . هذا على ضيعته وهذا على تجارتهم وهذا على صناعته . وهذا على صحة بدنه . وكل مخلوق متوكل على مخلوق مثله فرجعت إلى قول الله تعالى « ومن يتوكل على الله فهو حسبه » (٢) فتوكلت على الله عز وجل فهو حسبي .

قال شفيق بإحاطة : وفقك الله تعالى فإني نظرت في علوم التوراة والإنجيل والزبور والفرقان العظيم فوجدت جميع أنواع الخير والديانة تدور على هذه الثمان المسائل فمن استعملها فقد استعمل الكتب الأربعة .

نرى في المثل المتقدم كيف يكون تعليم الدين والنظر فيه والتدين بما جاء به مذهباً للنفس قائداً لها إلى الطريق المستقيم مترقياً بها عن السفاسف والاشتغال بالحقير من الأمور وكلما عمل الإنسان بعلمه كلما ازداد ورعاً وسموا على الشهوات وعلمت نفسه إلى مصاف الأبرار والصدّيقين ففاض بالسمادين . وعلى العكس كلما نزل الإنسان إلى المادة واشتغل بشهوته زادت هومته وأحزانه . وضل سعيه وخسر الدنيا والآخرة . روى عن أبي عبد الله الخواص وكان من أصحاب حاتم الأصم . قال :

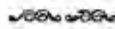
دخلت مع حاتم إلى الري ومعنا ثلثائة وعشرون رجلاً تريد الحج فدخلنا على رجل من التجار متخشف يجب المساكين فأضافنا تلك الليلة . فلما كان من الغد قال لحاتم ألك حاجة ؟ فأني أريد أن أعود فقيها لنا هو عليل . قال حاتم : عيادة المريض فيها فضل ، والنظر إلى الفقيه عبادة وأنا أيضاً أجبني معك .

وكان العليل محمد بن مقاتل قاضي الري . فلما جئنا إلى الباب فإذا قصر مشيد مشرف حسن فبقى حاتم متفكراً يقول باب عالم على هذه الحالة . ثم أذن لهم فدخلوا فإذا دار حسناء قوراء واسعة نزهة وإذا برة وستور فبقى حاتم متفكراً .

ثم دخلوا إلى المجلس الذي هو فيه وإذا بفرض وطيفة وهو راقد عليها وعند رأسه غلام ويده مذبذبة . فقام الزائر عند رأسه وسأل عن حاله وحاتم قائم قائماً إليه . بن مقاتل أن اجلس فقال لا أجلس ، فقال لعل لك حاجة ، فقال نعم ، فقال وما هي ، قال مسألة أسألك

عنهما ، قال سل . قال فم فاستو جالساً حتى أسألك . فاستوى جالساً . قال حاتم : علمك هذا من أين أخذه ؟ فقال من الثقات حدثوني به . قال عمن ؟ قال عن أصحاب رسول الله ﷺ . قال ورسول الله ﷺ عمن ؟ قال عن جبرائيل عليه السلام عن الله عز وجل . قال حاتم : ففيا أداه جبرائيل عن الله عز وجل إلى رسول الله ﷺ وأداه رسول الله ﷺ إلى أصحابه ، وأصحابه إلى الثقات وأداه الثقات إليك . هل سمعت فيه من كانت داره أشرف وكانت سمعها أكثر . كانت له عند الله عز وجل منزلة أكبر ؟ قال لا . قال فكيف سمعت ؟ قال سمعت أن من زهد في الدنيا ورغب في الآخرة وأحب المساكين وقدم لآخرته كانت له المنزلة عند الله . قال له حاتم فأنت بمن اقتديت ؟ بألنبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم ولصالحين ؟ أم بفرعون وعمرود أول من بنى بالجس والآجر . يا علماء السوء متاكم يراه الجاهل المتكالب على الدنيا الراغب فيها فيقول : العالم على هذه الحالة أفلا أكون أنا شراً منه . وخرج من عنده . فازداد بن مقاتل مرضاً . ألا « لمثل هذا فليعمل العالمون » .

الركن الرابع عشر الردي



### « أقوال مأثورة في الزواج »

- مثل الرجل الذي يحجم عن الزواج مثل الجندي الذي يفر من المعركة .
- يشبه الزواج الحياة في أنه ميدان قتال لا فراش من الورد .
- الزواج يحمل للحياة نظاماً متيناً ولهذا النظام طلاوة مخمودة .
- الزواج ترتيب ضروري لقيام الهيئة الاجتماعية .
- الزواج قاعدة الأمن العام لولاه لتكاثر التبرير وسادت الفوضى .
- الزواج يقوى الأخلاق ولا يضعفها .

عبر الباطن محمد المنزلي

ناظر مدرسة تلياه الأثرية

## سيدنا بلال

### وقوة العقيدة

هل لي أن أحدث عن شخصية من الشخصيات العالمية . فبنت في سبيل عقيدتها . فلائت من العذاب ألوانا . ومن الاضطهاد صنوفا . وجرب عليها من طارق الشدة ما لم يسمع عنه . وطوف بها حول الكعبة في موكب . ماخر صاحب لاغب من العبية . فلم يرضخ أمام الشدة ولم تخف من الوعيد . كما لم يلفتها عن عقيدتها لين وترغب ١١ ولد بلال من أب قرشي ، وأمة حبشية . فنبذه أبوه . فنشأ عبدا لأن عادة القوم حين ذلك . كانت تقضى بأن من ولده من أمة نشأ الوليد عبدا . يباع ويشترى . ولا ترتفع نفسه عن أن يرعى الماشية أو يخدم الخيل .

فشب عبدا لأمية بن خلف . ولكن نفس بلال سودته . ورفضت من شأنه عقليته . فقد منح عقلا راجحا . وقلبا رزينا . وقوة في المنطق . وحلاوة في السر ، وخصه الله فوق ذلك رقة في الصوت ، كانت تسحر القلوب وتغلب الالباب .

كل هذه الصفات مجتمعة . حيت بلالا إلى سادته ، فرفضوه عن مراتب الخدم ، وخصوه برعايتهم ، فكان مطربهم وصغيرهم . وخص بلال فوق هذا برقة في عاطفته كانت تجعله على أن ينقد البائس ، ويعين الضعيف . فكان عضوا في جماعة من قريش رأسها محمد بن عبد الله لهذا الغرض .

بعث محمد ﷺ إلى الناس رجة . ودعا سرا إلى ربه . فأمن به أبو بكر وبلال أول المؤمنين .

له هذا الاتفاق ؛ حر وعبد . يؤمنان بدعوة الرسول أول المؤمنين ! انتشر أمر تلك الدعوة الجريئة ، وذاع أمر أولئك الذين هجروا عبادة الآلات وأشباحها . وأمنوا بذلك الآله الذي دعا إليه ذلك الرسول . وذاع أمر بلال فبمن ذاع أمرهم فاشتد إيذاء الكفار لمن أسلموا . ولقي بلال من سيده أشد الأيذاء .

لني أمية بن خلف مولاة بلالا في بعض شعاب مكة . فقال : أخفا بلال قد استخفك محمد فصبات وكفرت باللات والنزى أفبيحيه : وإنه ما استخفى محمد وما صبات . وإنما هداني الله وأرشدني رسوله . فأمنت أنه لا إله إلا الله .

وهنا تتجلى قوة العقيدة . وهنا تستعذب التضحية في سبيل المبدأ ويتجلى الاخلاص

بأجلى معانيه . وهنا يجب أن أنحني إجلالا لهذا التفاني في سبيل الحق والتمسك به .  
يقول له سيده : ما للعبيد وتخير الأرباب ؟ يوم يكون لك أن تختار سيديك ، فأبرق  
بصرك إلى السماء ، ولتفاضل بين الأرباب لقد أحسن إليك . فوجدت جميلنا ، وخرجت  
على ديننا . فلتتركن هذا الدين ، وإلا فما أعود أن يراني دمك ، فيجيبه العبد : لا بأس  
بالموت ، فهو سبيل كل حي ، وهو أحب إلى من الضلال والكفر . . . ١

لقد تشجع العبد فأبدي زهادة في الحياة ، ولكنه إن رأى السيف والعصى ، فميرجع  
الهدى إلى عقله ، ولكن بلالا لا يزيد إلا عنادا وإصرارا . وتمسك بدينه ومعتقده ١١  
وثارت ثورة أمية ، فأمر بالعبد إلى الموت . فمضى بلال هادئ النفس مطمئن القلب  
يتلقى الموت ، وقره باسم ، ونفسه راضية . يردد قوله تعالى : « إن الله اشترى من المؤمنين  
أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة » ١١

فيأخذ العبد أمية . ويأمر خدمه أن يمسكوا عن قتله . ويعود إليه . يأخذه بالوعد  
تارة وبالوعيد أخرى . وكأما بضرب في حديد بارد فيفرغ صبره . ويأمر به أن يعرى  
من ثوبه ويلبس درعا من حديد ، ويلقي في صحراء مكة ، تحت شمسها المحرقة فيجنى الدرع .  
ويكوى جسده ، وبلال صابر . فأذا قالوا له : أترك دينك ، وعد إلينا نرفع عنك العذاب .  
نادى بصوت المظالم المؤمن : « أحد . أحد . إنما هو الله أحد » فيأمر أمية بالعبد فيشوه  
ويلبس أخزي الثياب . ويقاد برشاء في عنقه . ويمطى للصبية يطوفون به حول الكعبة .  
وبه يلتمسون ، وكانت تلك التجربة أقسى مامر على بلال . ولكنه الإيمان يحلو في سبيله المر .  
ويلذ له الألم . ولكنها العقيدة . يهون في سبيلها كل تضحية . مع هذا كله ينادى بلال  
بصوت حنون حزين : « أحد أحد . إنما هو الله أحد » .

شعر أمية بقوة عقيدة العبد . وعجزه عن رده إلى دينه بعد أن سقاه كؤوس  
العذاب وجرب عليه شتى التجارب . وأخذ أبو بكر يسعى لينقذ أخاه في الدين مما هو فيه  
فاشتراه وأعتقه فأصبح الجسد حرا . كما كانت النفس حرة . وكما كانت الروح منطلقة .  
لله هذه النفس الكبيرة . المملوءة عزة وإباء . المتشعبة بالعقيدة والإيمان . المستعذبة  
العذاب والمذلة . في سبيل هذه العقيدة وذلك الإيمان .

عبر النعم عبر الساقى .

المدرس بدرسة زكا الازراية

## الدين والعلم

أناك المرجعون برجم غيب على دهن وجبتك باليتين

تفتحت أحكام العقل البشرى — منذ وجوده — عن قوة خفية تقدر الإنسان على  
الآخيات لفاطر السموات وتقى به — رغم أنه — إلى ظلال منشىء الكائنات، تحتمى بحماه  
وتهدئ بهداه .

تلك القوة الخفية هي ما تجادل عنها بعض العقول في هذه المجالة — وعلى ضوء العلم  
وهدى الفلسفة — نغضى في هذه السبيل الوعرة الشائكة . وفي الوقت لا نصعد العقائد ولا  
نصدم الفطرة ولا تنكر البداء

إن كثيراً من الأشياء التي نمر بها على أنها حقائق ثابتة مقررة لا تلبث أن تذوب في  
بوتقة البحث والتحجيص فوق أتون المقاتلة والاستقراء .

فأنا حين كتابة هذه الكلمة جالس إلى منضدة في غرفة يضئها مصباح مضاء بالبترو  
ل — هذه المنضدة عليها قلم ومحررة وبعض الأوراق — وعلى يساري نافذة أطل منها على  
أشياء كثيرة من إنسان وحيوان ونبات وقر ونجوم وسحاب — بالطبع لو دخل على غرفتي  
إنسان رأى تلك المنضدة كما أراها أنا ولا حس بوجودها مثل ما أحس — فهي مثل تبدو  
للمين مستطيلة الشكل قائمة اللون قائمة على أربع قوائم ولا مربية في أن كل من رآها يوافقني  
على ذلك ولكن إذا قمت من مكاني واستعدت عن المنضدة قليلاً أنفراها كلها ذات لون واحد  
تحت ضياء المصباح المعكوس عليها — لا — بل إن أجزاءها ستظهر في ألوان كثيرة وحمية  
متباينة حسب قرب الضوء منها وبعدته عنها وعلى ذلك فإذا كان تحت عدد من الناظرين  
ينظرون إلى تلك المنضدة في وقت واحد من نواح مختلفة فلا يمكن أن يرى أيهم نفس  
ما يرى غيره نفس ما يرى الباقون لأنه لا يمكن أن يرى اثنان منهم نفس توزيع الضوء على  
المنضدة من نقطة واحدة لأن الاختلاف في نقطة النظر يلزمه اختلاف في توزيع الضوء  
على سطح المنضدة المنظور إليه .

من هذا يتضح لنا أنه لا يوجد لون للمنضدة يطابق الحقيقة أكثر من غيره وليس ثمة  
ما يرجح لنا أن هذا اللون أكثر مطابقة للحقيقة من ذلك .

وإذئذ فالحال تقضى بنا إلى الشك في حواسنا والارتياح فيما نتلقاه أنه حقائق لأرب فيها .

ولعل المتابع للحركة العلمية لا ينكر علينا وجود كثير من الحقائق العلمية في ميدان العلم برهانها قائم على زيف الحواس ومخالفة المظهر للحقيقة - وهل العلم في مظهره - انقديم والحديث - قائم الأساس إلا على الحواس ؟

وإذئذ فلنجر العلم من أذنيه ليدلنا على حقيقة المضادة التي اتخذناها مثلا في هذا البحث ونستخدم وسائله فيما عساه يكشف لنا عما وراء تلك الغمامة القاتمة التي لا يقوى النظر المجرد على اختراقها وتمتد يدنا إلى « ميكروسكوب » ونرفعه إلى إحدى عينينا ونعني قليلا لنواجه به سطح المضادة - فإذا رى ؟

ألسنا رى شعبا وهضبا ووهادا وأنجاداً وتجاويف وتلافيف ... حتى جماع تلك المادة التي تكون منها ذلك السطح في ذراته الأولى - هنا يكمن الدهش وتساءل حائرين : ماهو الصدق في حقيقته ؟ ماأراه بالعين المجردة أم ماأراه بواسطة « الميكروسكوب » ؟

لاشك أننا نميل إلى تصديق ماأرى « بالميكروسكوب » لاماأرى بالعين المجردة - ولكن هل ماأراه « بالميكروسكوب » هو الحقيقة الثابتة التي لا تتغير المضادة ؟ في حين أننا نعرف أننا لو استخدمنا « ميكروسكوبا » أقوى لتغيرت تلك الحقيقة التي كانت تبدو للعين المجردة ناعمة لمسام تحت الأنامل المارة بها - فإذا كنا لا نصدق ماأرى بالعين المجردة فلماذا نصدق ماأرى « بالميكروسكوب » ونيس نمت مايرجح التصديق .

وكذا نقول في كل المدركات الحسية وعلى هذا فالحواس تعجز عن إعطائنا الحقائق الزائدة فهي فقط تعطينا فكرة عن مظهر الأشياء لأكثر ولأقل .

ذلك إلى علمنا أن العلم متقلب متغير لا يلبث على حال ولا يقف إلى غاية - فكثير من الحقائق العلمية التي درج الناس عليها منذ قرون وفرغ العلم من البرهنة عليها في عصور مضت لم تقو على أن تصمد لمبضع الجراح على مشرحة البحث .

ولانحب أن ننكظ ذهن القارئ في جميع الأدوار التي مرت بها « فلسفة المعارف البشرية » ولا أن نحمله على دقائق الكتب وسجل الأبحاث العلمية منذ أن برزت شمس الفلسفة في سماء اليونان وأشعلت جذوتها ماخبا من المقول في ظلمات القرون الأولى .

فبين يدي تلاميذ المدارس الأولية هندسة « إقليدس » تقرر أن المستقيم هو أقرب بعد بين نقطتين ثابتتين وأنه لا يمكن أن نقيم من نقطة واحدة من المستقيمت المتوازية سوى مستقيم واحد فقط وأن مجموع الزوايا الداخلة للثلاث تساوي قائمتين في حين أن « إينشتين »

الإيضاح المعروف يقدم برهانه على أن المأخوذ هو أقرب بعد بين نقطتين وأنه لا يعرف شيئاً يسمى « بالمستقيم » .

وأن « لوبتشفسكى » يبرهن على أنه من نقطة واحدة يمكن أن تقيم عدة مستقيمت متوازية .

وأن « ريمان » يبرهن على أن مجموع زوايا المثلث الداخلة تساوى أقل من قائمتين .  
ومن الغريب أن البراهين كلها في درجة واحدة من القوة والمعمولية — فإذا كان هذا في الرياضة وهي من أقوى الحقائق أدلة فكيف بالأخرى ؟ .

أذكر أنى قرأت في بعض المجلات العلمية أن أحد علماء « دار الرصد » بألمانيا مستعد أن يراهن على مبلغ طائل من يستطيع أن يقيم له البرهان الذى لا شبهة فيه على أن الأرض تدور حول الشمس فلم نستغرب ذلك فأن « هنرى بوانكاريه » الرياضى الفرنسى يقول :  
إننا لانستطيع أن نثبت أى التفكيرين أصبح تمثيلاً للواقع دورانه الأرض حول الشمس أم دوران الشمس حول الأرض ؟

فكيف لأمم إذن أن يتناول الدين على أنه علم وهو يجرى في دائرة محدودة مسورة بأسرار الخواص والحواس كما تقدم زائفة متراجمة والعلم متقلب متغير غير مستقر ويعجبني في هذا الباب برهان صادق للأستاذ الفاضل مصطفى صادق الرافعى بسطه في كتابه القيم « تحت راية القرآن » فقال :

« إن هناك حقيقتان تعملان بالدين علماً كبيراً حتى يجاوز مدى العلم ومدى العقل — الأولى — أن العقل لا يدرى كيف يعقل ولا كيف يفهم وما العلم بأعلم منه في ذلك فعمل هذه الحارقة المجهولة هو الدليل على وجودها وهي بعد معرفة غير معروفة .

الثانية — أننا نخضع لنواميس كثيرة متضاربة لا يعرف العقل ولا العلم كنهها ولكن مايقع من آثارها هو الدليل على وجودها وهي كذلك معرفة غير معروفة .  
فليس مع عاين الحقيقةين ما يمنع العلم والعقل أن يخضعا للدين وما الدين إلا أفراد الكلية والاستدلال عليها ببعض آثارها وهي بعد معرفة غير معروفة بذاتها .

والعلم لا يكشف عن شيء إلا هتك سراً من أسرار الطبيعة ولا يبين عن سر إلا أوضح ضراباً من ضروب السكالك في الخليفة والسكالك دليل على المبدع والابداع الإلهى إعجاز للعقل وإعجاز العقل وسيلة الايمان الصحيح » على يقيننا بصدق هذا الكلام لا يمنعنا من السير والعلم إلى آخر الشوط . وتطبيق أحدث نظريات الفلسفة الحديثة على الدين لنرى أبهم أشد وأقوم قبلاً .

إن تاريخ أسلوب الفكر العلمى مر في ثلاثة مذاهب متباينة : « ١ » المذهب الآلى  
« ٢ » المذهب الجوى « ٣ » المذهب الروحانى :

وخلاصة الأول تفسير جميع الظواهر الجوية بالتفاعل الكيميائي بين جزيئات المادة  
وخلاصة الثاني تفسير تلك الظواهر بافتراض قوى مندسجة فيها ولا تستجيب إليها .  
وخلاصة الثالث : افتراض روح عاملة شاملة لتسير الكون على مقتضى توافيق ثابتة  
لا تتغير .

وقد مكنت هذه المذاهب جنينا في أحشاء الفكر الإنساني حتى تمخض عن قانون  
« الدرجات الثلاث » الذي ابتدعه « أوغست كانت » فهال لذلك الماديون وصفقوا  
وأخذوا يقيسون عليه ويلابون به وكلما انهار بنيانه أو تصدع أساسه راحوا يرمونه بتملات  
وافتراضات لم تلبث أن تذروها الرياح  
على أن هذا المسلك النوع الذي أنشأه الماديون لم يستطع أن يصف قدميه في  
الميدان وبواجه فذائف الاعتراضات المسددة إليه من جهاته الست .

وتسيطر الآن على معظم الدوائر العلمية الحديثة فكرة الرجوع إلى القوى الروحية في  
تفسير وحدات الطبيعة الأساسية وتكوين خصائصها على الاعتقاد بأن لا يكون خالقا مدبرا  
حكما مختارا يسيره على مقتضيات ترى أثرها ولا ندرك كنهها وتثوب بالإنسان إلى « قطرة  
الله التي قطر الناس عليها » .

وإذا علمنا في أحدث ما انتهى إليه العلم الحديث أن جوهر الوجود الأقصى هو  
« الإشعاع » ازدادنا يقينا بالدين الإسلامي في القرآن الكريم « الله نور السموات  
والأرض » .

وأن أحدث النظريات في فناء العالم هي : تحوله إلى إشعاع ينتشر ليتكاثف مرة أخرى  
على أبعاد شاسعة في مكان سحيق ليتحول إلى مادة أخرى تيقنا الأعجاز الإلهي في  
الآية الكريمة : « يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات » .  
وبعد فهذه كلمة دقمتنا إليها العجلة نحاول بها أن نكون قد وفقنا إلى اتجاه حديث  
في دراسة الدين .

وفي الوقت نفسه نعتذر عن تلك العجلة التي أجبنا إلى الإنجاز والتلميح دون البسط  
والتصريح فإن ظروفنا القاهرة قد اضطررتنا إلى ذلك .  
على أننا نرجو أن نوفق إلى تفصيل ما أجبنا فيها بعد .  
« والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله » .